

## دراسة أدبية تحليلية لبائية الوزير عبد القادر بن غداد في الشكر لله تعالى للانتصار على جيوش كَبَّ

د. يحيى إمام سليمان

قسم اللغة العربية، جامعة باير كنو  
[Suleimany4156@buk.edu.ng](mailto:Suleimany4156@buk.edu.ng)

مقدمة:

رزق الله مناطق بلاد هوسا منذ زمن بعيد بعلماء وأدباء تثقفوا بالثقافة العربية الإسلامية، وأصبحوا متمكنين في اللغة العربية يؤلفون فيها (وبها) كتباً علمية، ويقرضون بها الأشعار. ومن أعلام العلماء المشهورين في القرن التاسع عشر الميلادي الوزير عبد القادر بن غداد، الذي جمع بين الفروسية والوزارة والعلم والأدب، له أشعار ذات قيمة تاريخية وفنية تدل على مستوى الثقافة العربية في عصره.

فهذه المقالة تهدف إلى دراسة قصيدة بائية لعبد القادر بن غداد وتحليلها تحليلاً أدبياً مختصراً بغية إظهار مواطن الجمال فيها والوقوف على قيمتها الفنية والتاريخية ومن ثم تُظهر مدى تمكن الشاعر في التعبير عن خلجات نفسه بطريقة فنية شعرية، وتساعد القارئ في فهم مضامين القصيدة وتذوق جمال أساليبها.

ترجمة صاحب النص:

هو عبد القادر بن عثمان الملقب بـ(غِدَادُ) بن أبي بكر الملقب بـ(سَمْبُولِيم) بن عمر الملقب بـ(عَابِنْدُ) بن أحمد من قبيلة تُورَبُّ Torobe<sup>(1)</sup> القاطنين في أعالي جمهورية نيجر Niger Republic نزح أجداده من (بِرْنُ فُنُّ) إلى (كَبُّ) أيام رئيسها

محمد كُنْتَا Kanta، ثم انتقل كل من جده ووالده وعمه إلى سَكُّتُو واتصل الجميع بالشيخ عثمان بن فودي<sup>(١)</sup>. وأمه هي السيدة أسماء<sup>(٢)</sup> بنت الشيخ عثمان بن فودي.

وُلِدَ بِسَكُّتُو Sokoto سنة ألف وثمانمائة وتسع ميلادية ١٨٠٩م، في فترة الجهاد الإصلاحية الذي قام به الشيخ عثمان بن فودي. ونشأ في بيت عَزَّ وعلم وأدب، وترعرع في بيئة تهتم بالعلم والثقافة العربية الإسلامية، إذ كانت مدينة سكوْتو آنذاك مركزاً للخلافة الفودوية والثقافة العربية الإسلامية، يفد إليها العلماء والطلاب من كل الجهات.

بدأ حياته العلمية بتعلم مبادئ القراءة والكتابة على يد أمه. كما قرأ القرآن الكريم في بيت والده، ثم أخذ بعض العلوم العربية والإسلامية في نفس البيئة (بيئة سوْكوتو)<sup>(٤)</sup>.

شارك عبد القادر في حركة الجهاد منذ شبابه الأمر الذي أكسبه خبرة مبكرة في الجهاد، شهد خمسا وعشرين غزوة من مجمل سبع وأربعين غزوة قام بها أمير المؤمنين محمد بلّ، وأربع غزوات مع خاله أبي بكر عتيق وهو لم يتجاوز الثامنة والعشرين من عمره، كما خرج في غزوة مع خاله عبد القادر بن الشيخ عثمان إلى نُوفي Nupe<sup>(٥)</sup>. ومن المعروف أن جده من أمه، عثمان بن فودي، هو القائد لحركة الجهاد الإصلاحية في هذه الربوع المترامية آنذاك. وأن والده هو وزير الدولة من قبيل أمير المؤمنين محمد بلّ، فضلا عن كونه عالما، وفقهيا، وأديبا، ومتصوفا. فلكل ما سبق ذكره أثرٌ واضحٌ في تكوين عبد القادر عالما من كبار العلماء في عهده حتى تصدّر للتدريس في المعهد الذي أسسه والده بعد وفاة الوالد<sup>(٦)</sup>،

وإداريًا بمعنا الكلمة حتى أصبح وزيراً للأمير علي في خلافة سوكتو، وفارساً من الفرسان الذين يُشار إليهم بالبنان.

بدأ أعماله الإدارية كنائبٍ عن والده، بعد أن اعتزل الوالد الأعمال الرسمية العامة للوزارة في عهد أمير المؤمنين أبي بكر عتيق سنة ١٨٤٢م<sup>(٧)</sup>، ثم صار وزيراً بعد وفاة الوالد في عهد أمير المؤمنين علي (الكبير) بن محمد بلّ سنة ١٨٥١م، حاملاً مسؤولية الإمارات الشرقية التي هي: كنو Kano و زَارِيَا Zaria و حَطِيحِيَا Hadejia و كَتَاغُم Katagum و مَسُو Misau و أَدَمَاوَا Adamawa و عُجِي Gombe بالإضافة إلى مدينة سكتو Sokoto.

توفي عبد القادر بن غداد في أول ديسمبر سنة ١٨٥٩م، وُدْفِنَ بِوُرُونُو Wurno، وهي قرية لا تزال موجودة بشرق سَكُتُو وفيها مدفن الشيخ محمد بلّ (رحمه الله)<sup>(٨)</sup>.

#### مناسبة القصيدة:

يرجع تاريخ هذه القصيدة إلى زمن خلافة علي (بَيَّا) بن محمد بلُّ بن عثمان بن فودي في مدينة سَكُتُو، وكانت فترة خلافته من عام ١٨٤٣م إلى ١٨٥٩م فترةً شهدت اضطرابات سياسية حيث خرجت بعض المناطق والإمارات التابعة لسَكُتُو عن طاعتها وولائها للعاصمة أمثال إمارة حطيجيا أيام أميرها البخاري بن سَمْبُو الذي استولى على السلطة عنوة من أخيه أحمد بعد وفاة والده، بل ارتدت بعض المناطق عن الإسلام من بينها البلدان الواقعة تحت كَبِّ، الأمر الذي جعل الأمير أن يجهب جيشًا لملاقات جيوش كَبِّ المجتمعمة من بلاد جِرَم

ومورٍ وميرٍ وأوغٍ وكندداً وغيرِها ومواجهتها حتّى انتصر عليها بفضل من الله سبحانه وتعالى.

وكان عبد القادر بن غداد صاحب هذا النص الشعري وزيراً للأمير عليّ بنّياً، وساعدهُ الأيمن في إدارة شؤون الدولة ومواجهة ارتداد البلاد عن الإسلام وولائها لعاصمة خلافة سَكْتُو، وكان يصاحب الأمير في جميع غزواته وحروبه يسجل سيرته وإنجازاته نثراً وشعراً. فالقصيدة التي بين يدينا نظمها الوزير عبد القادر شكراً لله سبحانه وتعالى إثر انتصار الأمير على جيوش أهل كَبِّ. وقد ذكر الوزير هذه المناسبة قبل إيراده نصّ القصيدة في كتابه "مجموع الوزير في ذكر مناقب الأمير"<sup>(٩)</sup>، ويُعتبر الكتاب المصدر الأساس للقصيدة.

### نص القصيدة:

- |      |   |  |
|------|---|--|
| [١]  | الْحَمْدُ لِلْمُتَّفَضِّلِ الْوَهَّابِ        | رَبِّ الْبَرِّيَّةِ فَاتِحِ الْأَبْوَابِ   |
| [٢]  | تُوْتِي لِمُلْكِكَ مِنْ تَشَاءِ بَعْرَةَ      | وَتُذِلُّ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ      |
| [٣]  | بَعْدَ الْأَذْلَةِ وَالْإِهَانَةِ ثُمَّ فِي   | عُقْبَاهُ الْحِقِّ جُمَّلَةَ الْكَذَّابِ   |
| [٤]  | فِيَعْدُوبُونَ مَعًا جَزَاءَ تَمَرْدٍ         | فِي الْكُفْرِ وَالْإِسْرَافِ شَرَّ عِقَابِ |
| [٥]  | يَا سَائِلِي عَنْ هَذِهِ الْأَلْفَافِ         | لَمَّا لَقِينَا جُمَّلَةَ الْأَحْرَابِ     |
| [٦]  | مِنْ جِرْمِ مَوْرٍ بِمِيرٍ أَوْغٍ لِكُنْدَدَا | وَسَوَاهِمِ مِنْ عُبْدِ الْأَنْصَابِ       |
| [٧]  | نَهَضُوا إِلَيْنَا غَرْمُهُمْ إِكْثَارُهُمْ   | بِسَوَادِهِمْ إِذْ كَلَّهْمُ كِلَابُ       |
| [٨]  | وَأَمِيرُنَا فِي مَهَلَةٍ وَتَرْتُّبِ         | شَفَقًا لِأَهْلِ عِبَادَةِ الْوَهَّابِ     |
| [٩]  | طَمَعًا لِنَيْلِ شَهَادَةٍ فِي بَعْضِنَا      | إِذْ أَنْتَ مِنْ عَادَةِ الْوَهَّابِ       |
| [١٠] | لَمَّا تَقَارَنَا وَزَادُوا طَغْيَةً          | أَذِنَ الْأَمِيرُ لِأَسَدِهِ الضَّرَابِ    |
| [١١] | حَتَّى رَأَوْنَا أَنْنَا لَا نَنْشِي          | مَنْ رَمَيْهِمْ وَتَضَارِبِ الضَّرَابِ     |

- [١٢] بَعَدَ افْتِتَاحَ لِيَوَائِنَا وَعُقَابِنَا      مَعَ ذِكْرِنَا زَادَتْهُمُ الْإِرْهَابَا
- [١٣] جَعَلُوا يُنَاشِدُ بَعْضُهُمْ فِي كُنُودَا      عَيَّتْ جَمِيعَهُمْ لِرَدِّ جَوَابِ
- [١٤] قَدْ صَمَّ سَمْعُهُمْ كَذَا أَبْصَارُهُمْ      وَعَمُوا عَمَى وَأَحَاطَهُمْ بِعَذَابِ
- [١٥] يَتَلَاعُنُونَ تَفَرُّقًا وَتَبَرُّؤًا      بَعْضًا لِبَعْضٍ لَا عَلَى الْإِطْرَابِ
- [١٦] تَبَّأَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْبَرُ      لَوْمًا وَتَبْرِيَةً عَلَى الْإِطْنَابِ
- [١٧] فَاسْتَدْبَرُوا عَنَّا فَقُلْنَا وَيْلَكُمْ      كَيْفَ النَّجَا لِفِرَارِكُمْ وَذَهَابِ
- [١٨] مَا مِنْهُمْ إِلَّا الْقَتِيلُ وَمُؤَسَّرٌ      شَكَرَ الذُّبَابُ وَكُلُّ ذِي الْأَنْيَابِ
- [١٩] خَابَ الطُّعَاثُ لِتَرْكِهِمْ أَمْوَالَهُمْ      وَدِيَارَهُمْ، نِسْوَانَهُمْ هَذَابِ
- [٢٠] فَلَنْشُكْرُنَّ يَا إِخْوَتِي مُعْطِيَا لَنَا      هَذَا الْحُبُورَ أَيَا أُولِي الْأَبْيَابِ
- [٢١] سُبْحَانَهُ فِي مُلْكِهِ وَعُلُوِّهِ      فِي فَهْرِهِ وَرُؤُوبَةِ الْأَرْبَابِ
- [٢٢] إِيَّاهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا وَمُنَزَّهًا      وَمُسَبِّحًا وَيْلٌ لِيذِي الْأَلْقَابِ
- [٢٣] صَلَوَاتُهُ وَسَلَامُهُ لِمُحَمَّدٍ      مَاحِي الرَّدَى هَامِي التَّدَى الْأَوَابِ
- [٢٤] وَلَا إِلَهَ وَصَحَابِهِ وَتِبَاعِهِ      أَنْصَارِهِ وَأَيْمَّةَ الْأَدَابِ

## البنية اللغوية:

- [٢] مسرفٌ كذابٌ: يقصد به كُنُودُ سلطان كَبٌّ.
- [٣] عُقْبَاهُ: عَقِبُ كُلِّ شَيْءٍ وَعُقْبَاهُ آخِرُهُ، وَالْعُقْبَى جَزَاءُ الْأَمْرِ. وَالضَّمِيرُ الْهَاءُ يَرْجِعُ إِلَى "مَنْ هُوَ مَسْرَفٌ كَذَّابٌ" الْمَذْكُورُ فِي الْبَيْتِ السَّابِقِ.
- [٦] جِزْمٌ: مَنْطِقَةُ الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ لِنِيجَرِ فِي جُمْهُورِيَةِ نِيجَرِ حَالِيًا<sup>(١٠)</sup>. مَوْرَ Mauri: مَنْطِقَةُ تَقَعُ غَرْبَ كَبِّ، وَتَتَّحِدُ بِوَاحَةِ دُوسُو Dosso غَرْبًا، وَهِيَ حَالِيًا فِي جُمْهُورِيَةِ نِيجَرِ. مِيرَا Mera: بَلَدٌ فِي كَبِّ حَالِيًا. أَوْغِ Augi: هِيَ

حاليا حكومة محلية تابعة لولاية كَب في نيجيريا. لِكُنْدُدا: يبدو أن اللام فيها لام الاختصاص، وكُنْدُدا: اسم سلطان من سلاطين أَوْغ، اشتهرت به، فكانوا يضيفونه إليها كما تضاف هي إليه<sup>(١١)</sup>. ويُستعمل اللفظ علمًا على حصن منيع أقامه السلطان كُنْدُدا في أَوْغ، وورد اللفظ بالطاء بدلا من الدال (كُنْدُط) مفيدًا للدالتين في قصيدة عبد الله بن فودي، ومطلعها<sup>(١٢)</sup>:

تذكرت والذكرى تثير لذي النوى \* همومًا وفي الذكرى تهب صبا الهوى  
حيث يقول:

وَرُورٌ عَمِّي رندال ثم عظيمها \* وليـلاب منه فرَّ كُنْدُط فانزوى  
ويقول:

فتحنا حصونًا بين قُنْدا وكُنْدُط \* تزيد على عشرين بالقهر والقوى

[٦] عُبْد: بمعنى عُبَاد، روي عن ابن عباس رضي الله عنه قراءة ﴿وَعُبْد الطاغوت﴾ بمعنى عُبَاد الطاغوت<sup>(١٣)</sup>.

[١٠] الطغية: الهيجان، ومجاوزة الحد والمبالغة في العصيان.

[١٢] مع ذكرنا: أي مع ذكرنا الله، قائلين ومرددين بأصوات مرتفعة "الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر" في ميدان القتال.

[١٣] كُنْدُدا هنا اسم الحصن، وقد سبق الحديث في ذلك قريبا.

[١٦] على الإطناب: أي على الإكثار. يُقال: أَطْنَب فلان في الكلام إذا بَالَع فيه وأكثر.

[١٨] مؤسّر: يقصد به المأسور، من الأسر.

[٢١] ربوبة: أي ربوبية، وهي مصدر رب ربوبة، مثل صعب صعوبة وحمض حموضة.

[٢٢] ماحي الردى: بمعنى الذي يمحو الله به الكفر، وأصل الردى الهلاك والموت. هامى الندى: أي مُسيلُ الندى، والندى بمعنى الجود والسخاء والخير. والأواب: صيغة مبالغة من آب، أي كثير الرجوع إلى الله كثير الذكر والتسبيح.

### أفكار النص (المضمون)

يمكن استخلاص الأفكار المتضمنة في هذه القصيدة واختصارها في ثلاثة أفكار وهي:

(١) الافتتاحية بالحمدلة (البيت ١ - ٤): استفتح الوزير عبد القادر قصيدته بقلب فرح طرب ممتلاً بنشوة النصر الذي حازه الأمير عليّ على جيوش كِبّ، مقدما حمده لله سبحانه وتعالى قائلاً: الشكر خالصا لله المتفضل على جميع عباده بما أحبّ من فواضله ونعمه، وهو ربُّ جميع الخلائق فاتح أبواب الخير والنصر لعباده.

ثم التفت مخاطباً الله سبحانه وتعالى قائلاً: لك الملك وحدك توصل إليه من تشاء بعزة من عبادك، وتذل من هو مشرك بالله كثير الافتراء عليه بنزع الملك منه. وبعد إذلاله وإهانته في الدنيا يُلحق في الآخرة مع المشركين أمثاله كثيري الافتراء على الله فيرمون في النار، فيعدّون معاً أشد العذاب عقاباً على تمردهم ومجاوزتهم الحد بالكفر.

(٢) وصف أحداث الحرب ومجرياتّها (البيت ٥ - ١٩): فبعد المقدمة السابقة التفت الشاعر إلى شخص خيالي، قائلاً له: يا من يسألني عن سبب نظمي لهذه الألفاظ الشعرية اسمعني أخبرك عنها وعن مجريات وقائع هذه الحرب: لما لقينا جملة الأحزاب المتكوّنة من بلاد جرم، ومور، يمير وأوغ حتى كُنْدَد وغيرهم من الذين يعبدون الأنصاب دون الله سبحانه وتعالى، قاموا بجمعهم متجهين نحونا، مغرورين بزيادة كثرتهم إذ كانوا كلهم كالكلاب في تصرفاتهم.

أما أميرنا فلم يأبه بتصرفهم، وإنما كان في سكينه وبطء لا يسرع في أمره، وما ذلك من خوف بل شفقتاً لجنوده أهل عبادة الله الوهاب حتى لا يتضرروا كثيراً، ورغبةً منه أن ينال بعضنا درجة الشهادة في الميدان، إذ أن هذه هي العادة عند أميرنا المعروف بكثرة الهبات.

فلما تقارينا، وهم في قمة هيجانهم، أذن الأمير عليّ لرجاله الشجعان سريعي الحركة كثيري الضرب بالسيوف؛ فواجهوهم بشجاعة وبسالة نادرة حتى رأوا أننا لا ننشئ من رميهم وضربات رجالهم الأقوياء، فدخل في قلوبهم الفزع والرعب.

ولما رأوا علم جيشنا ورايته مفتوحين يرفرفان فوق رؤوسهم ونحن نكبّر الله رافعين أصواتنا قائلين: الله أكبر الله أكبر الله أكبر، زادهم ذلك إرهاباً شديداً؛ فجعلوا في كُنْدَد يناشِدُ بعضهم بعضاً طلباً للنجدة والإنقاذ إلا أن الحالة التي هم فيها من زنقة تحت وطيس الحرب أعجزتهم عن رد جواب لبعضهم فضلاً عن مساعدتهم وإنقاذهم. فقد انسَدَّ سمعهم وعميت أبصارهم وذهبت عقولهم فصاروا غير قادرين على التمييز



والإدراك فأحاطهم الله بعذابٍ، يلعنُ بعضهم بعضًا نتيجة اختلافهم وتخلي بعضهم عن بعض، لا عن تلاعب وتماجن كما هي عادتهم. أهلكهم الله هلاكًا لأنهم يوم القيامة كعدة أهل النار، سيلوم بعضهم بعضا بأكبر لوم وسيترأون من بعضهم بكثرة.

فلما استئسوا من النجاة ورأوا أن لا ملجأ لهم، ولّوا مستدبرين عنا؛ فاستدركناهم قائلين لهم: ويلكم! لا تستطيعون الفرار ولا الانفلات من قبضتنا. فلم نترك منهم يومها سوى من هو مقتول أو مأسور، جثثهم مرمية بكثرة في الميادين، أكلت منها الذئب وحيوانات أخرى من ذوات الأنياب حتى شبعت من لحومهم وشكرتنا على هذا العطاء الموفور الذي لا مثيل له.

خسر الطغاة يومئذ، ولم يتحقق ما كانوا يأملون، لأنهم تركوا أموالهم وديارهم ونسوانهم اللاتي أخلصوا اختيارها وتثقّيتها لأنفسهم، غنيمة لنا. (٣) الدعوة إلى تقديم الشكر لله سبحانه وتعالى وتخليص العبادة له (البيت ٢٠ - ٢٢): فلما انتهى الشاعر من وصف أحداث الحرب وما منَّ به الله سبحانه وتعالى عليهم من الانتصار وإلحاق الهزيمة بأعدائهم، التفت إلى إخوانه في الإيمان والعقيدة مشيرًا لهم إلى تلك النعمة من الله الوهاب قائلاً: فبذلك وجب علينا يا إخوتي أن نشكر من وهب لنا هذا النصر وأعزنا به على أعدائنا.

أيا أولي الألباب، هذه ذكرى لكم ولتطمئنَّ به صدوركم بأنه هو الله العزيز الوهاب، سبحانه في ملكه وعلوه في قهره وربوبيته للخلق أجمعين.

إيَّاهُ أعبد مخلصاً له العبادة، ومنزَّهاً له عن شريك، ومسبِّحاً بحمده على نعمه الظاهرة والباطنة؛ فويلٌ لكلِّ مشركٍ به مختليٍّ له الألقاب.

(٤) الاختتام (البيت ٢٣ - ٢٤): اختتم الشاعر القصيدة بالصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه والتابعين وسائر الأئمة بلا استثناء، قائلاً: صلوات الله وسلامه على محمدٍ الذي يمحو الله به الكفر المؤدي إلى الهلاك، مُسيل الندى، كثير الرجوع إلى ربِّه، وعلى آله وأصحابه وأتباعه وأنصاره وجميع أئمة الآداب العاملين بجمده صلى الله عليه وسلم.

#### العاطفة:

إذا نظرنا إلى حياة الوزير عبد القادر والمناسبة التي قال فيها هذه القصيدة ندرك مدى عمق تجربته الشعرية، إذ أن الحالة الوجدانية التي دفعته إلى قول هذه الأبيات حالة حقيقية غير زائفة، فقد صاحب الأمير علياً وشارك معه في هذا الحرب وعانى من ويلاتهِ كثيراً من الجوع والخوف والرعب وعدم الاستقرار تاركاً بيته وأهله في سبيل الله، مواجهاً جنوداً متحزبة من البلاد التابعة لكبِّ، من جرم ومور ومير وأوغ وكُنْدُداً وغيرها. فما كان يظنُّ الرجوع إلى أهله سالماً منتصراً لولا إيمانه ويقينه برَبِّه سبحانه وتعالى. ففجعة هيأ الله لهم الأسباب، فانتصروا بحول الله وقوته على أعدائهم؛ فسيطرت عليه عاطفة الفرح والسرور بهذا النصر العظيم، فدفعته إلى التعبير، بصدقٍ، عن مدى إحساسه بالسعادة، موجَّهاً شكره الخالص لله المتفضل الوهاب الذي وهب لهم هذا النيل العظيم.

فبصدق عاطفة هذا الشاعر وقوتها استطاع، خلال أبيات القصيدة، أن يؤثر في نفوسنا ويهز وجداننا؛ فيجعلنا نعيش تجربته الشعرية ونشاركه في وجدانه وإحساسه.

الأسلوب:

أولاً: الألفاظ:

الألفاظ هي اللبنة التي تكوّن الأسلوب، وليس كل ما تجيزه اللغة وما تحويه المعاجم من الألفاظ يصلح لأن يكون لغة أدبية؛ فالشاعر إذا أحسن اختيار الألفاظ فإن أسلوبه سيبنى على أساس متين. فإذا نظرنا في هذه القصيدة نجد أن الوزير عبد القادر بن غداد استطاع بموهبته أن يستشف روح الألفاظ ويختار منها ألفاظاً سائرة بين الناس ومفهومة، غير معقدة، لا يضطرّ السامع أو القارئ إلى الرجوع إليها في المعاجم. فالألفاظ: الحمد، المتفضل، الوهاب، رب البرية، فاتح الأبواب، كلّها ألفاظ فصيحة منتقاة توحى إلى المعاني الجميلة التي وضعت من أجلها، وهكذا بقية ألفاظ القصيدة.

والألفاظ: الحمد والشكر والمدح، كلها كلمات تأتي بمعنى واحد لا يميّز بينها في المعنى إلا صاحب ذوق سليم وطبع جيد وبصيرة بجواهر الكلم، فهي ألفاظ مترادفات متشابهات حتى في حركات حروفها وسكونها، فالشاعر في البيت الأول لهذه القصيدة فضّل استعمال لفظ الحمد دون غيره في قوله: (الحمد للمتفضل الوهاب \*\*\*) بينما نجده يفضّل استعمال لفظ الشكر دون غيره في البيت العشرين قائلاً: (فلنشكرن يا إحتوي ...)، وهذا يبرز عبقرية الشاعر في اختيار الألفاظ المناسبة لموضوعه وفكرته ووضعها في الأماكن المناسبة.

ويضاف إلى ما سبق، ورود ألفاظ دالة على بيئة الشاعر في القصيدة، وهي أسماء لبلدان وأماكن غير عربية وهي: جرّم، مور، مير، أوغ وكندد. استطاع الشاعر بموهبته وبصيرته أن ينظمها ويستوظفها في القصيدة مؤدّية دورها في إخراج نغم صوتي له وقع إيجابي في تصوير إحساس الشاعر وشعوره.

## ثانيا: الصور:

استوظف عبد القادر صوراً جمالية مختلفة في توضيح معاني شعره ونقلها إلى السامع أو القارئ في ثوب فني رائع مؤثّر، نشير إلى بعض منها كالآتي:

في البيت الأول والثاني: انتقل الشاعر من أسلوب الحديث بطريق الغائب في البيت الأول (الحمد للمتفضل الوهاب ...) إلى أسلوب طريق الخطاب من بداية البيت الثاني (تؤتي لملكك من تشاء بعزة ...)، وهذا فنٌ بديع من فنون نظم الكلام البليغ عند العرب، وهو المسمى في علم الأدب العربي والبلاغة **النفائاً**. فالشاعر، لما حمد الله سبحانه وتعالى ووصفه بعظيم الصفات، المتفضل، الوهاب، رب البرية، فاتح الأبواب، بلغت به الفكرة منتهاها فتخيل نفسه في حضرة الربوبية فخطب ربه في البيت الثاني بالإقبال. ولازم الشاعر هذا الأسلوب في جميع القصيدة ينقل كلامه من أحد الطرق التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى طريق آخر منها. "وأبو الفتح ابن جني يسمي الالتفات شجاعة العربية كأنه عنى أنه دليل على حدة ذهن البليغ وتمكنه من تصريف أساليب كلامه كيف شاء كما يتصرف الشجاع في مجال الوعى بالكر والفر"<sup>(١٤)</sup>.

ويلاحظ أيضاً، أن ابتداء الشاعر بجملة اسمية في البيت الأول قائلاً "الحمد للمتفضل الوهاب" نوع من أساليب التوكيد، ليدلّ على ثبوت الحمد لله المتفضل وتقويتها واستمراريتها.

وفي قوله "فاتح الأبواب" صورة لطيفة، فكأن النصر على جيوش كِبّ شيءٌ مغلوّقٌ محاط بسورٍ محكّم الأبواب أو هو قصر مرصود محكّم الأبواب صعب المنال ففتحه الله لهم بأقل من السهولة؛ فهو فاتح الأبواب بمقاليد الأسباب مهما استصعبت.

في البيت الخامس أسلوب التجريد، حيث جرّد الشاعر من نفسه شخصا آخر يسأله عن سبب نظمه لهذه الألفاظ، فخاطبه بأسلوب النداء مجيبا عن سؤاله قائلا له: "يا سائلي عن هذه الألفاظ" بمعنى: يا سائلا عن هذه الألفاظ استمع إلى جوابٍ عن سؤالك. وهذا لونٌ من البديع اشتهر به كثير من الشعراء على تفنن منذ القديم، فإمرؤ القيس جرّد من نفسه صاحبين يخاطبهما ويستوقفهما قائلا:

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل\*\* بسقط اللوى بين الدخول فحومل  
والشاعر الأعشى جرّد من نفسه شخصا آخر خياليا يخاطب الأعشى أمرا له أن يودّع هريرة قائلا له:

ودّع هريرة إن الركب مرتحل\* وهل تطيق وداعا أيها الرجل  
فكأن الشاعر في مثل هذا لا يريد أن يلقي كلامه إلى غير سامع.  
وفي البيت الخامس أيضا، أسلوب المجاز المرسل حيث استعمل "اللفظ"  
للدلالة على التعبير بالأبيات واللفظ من أدوات التعبير.

وفي البيت السابع تشبيه مفصل، فلما نهض جنود أهل كبّ بجمعهم  
مواجهين ومهاجمين جيش الأمير عليّ فور مشاهدتهم لهم، دون الاعتبار بمدى  
استعداد جيش الأمير مغرورين بسوادهم وكثرتهم، وكانت هذه عادةً في الكلاب  
ثابتةً حين تكون مجتمعة تهيج وتهاجم المقبلين إليها مغرورة بكثرتها دون الدراية  
باستعداد المقبلين؛ شبّه الشاعر جيوش أهل كبّ بالكلاب بجامع مشاركتهم في  
تلك أوصاف.

وفي البيت العاشر استعارة، حيث شبّه جنود الأمير بالأسود بجامع الشجاعة والبسالة في كلّ، ثم تناسى التشبيه وادّعى أن الجنود أسودّ، وهذا من قبيل الاستعارة التصريحية لحذفه المشبه وهم الجنود وتصريحه بالمشبه به وهم الأسود.

وفي البيت الخامس عشر أسلوب قصر، حيث قصر مصدر تلاعن جنود أهل كَبَّ بعضهم لبعض وسببها على تفرقهم وتبرؤ بعضهم من بعض، مُنفياً أن يكون ذلك نتيجة الإطراب كما كانت عادتهم في ظروف غير هذه، مستعملاً طريقة العطف بلا.

وفي البيت السابع عشر، في قوله: "كيف النجا لفراركم وذهابٍ" خرج الاستفهام عن معناه الحقيقي إلى معنى الإنكار. فلما استدير جنود أهل كَبَّ فارّين من الوغى ظانّين أنهم ناجون من قبضة جيش الأمير عليّ؛ فقالوا لهم: لا، لا، أنتم لا تستطيعون النجاة بفراركم منّا وذهابكم عنا، لأننا محيطون بكم، لاحقون بكم أينما كنتم.

وفي البيت الثامن عشر: في قوله "ما منهم إلا القتل ومؤسر" أسلوب قصر عن طريق النفي والإثبات، حيث نفى بقاء أحد من الأعداء في ميدان القتال سوى من قُتِل أو أُسِر. وفي الأسلوب مبالغة في بيان كثرة أعداد القتلى والأسرى من صفوف الأعداء.

وفي قوله: "شكر الذئب وكل ذي الأنياب" أسلوب استعاري لطيف، حيث شبه الذئب وكل ذي الأنياب بالإنسان بجامع إبداء حركات دالة على الشبع بعد الأكل في كلّ، فحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الشكر فأسند الشكر إلى الذئب وكل ذي الأنياب عن طريق التخييل؛ فهذه صورة فوتوغرافية خيالية رائعة يستطيع رسّامٌ ماهر أن يرسمها، ذئبٌ (أو ذوو الأنياب)

بعد الشعب من الأكل ترفع يديها شاكرة لمن وهبها هذا الطعام الكثير الزائد فوق حاجتها.

### ثالثاً: الموسيقى:

"الموسيقى عنصر من العناصر الهامة في صياغة الشعر، ووسيلة من وسائله الرئيسية في إثارة الشعور وتحريك الوجدان، وبثَّ الإحساس لدى المتلقي بالجمال، فالقصيدة - بتعبير أرشيبالد مكليش - صرخة منغومة"<sup>(١٥)</sup>. والبناء الموسيقي يتألف "من إطار خارجي يتمثل في الوزن والقافية، وموسيقى داخلية تتمثل في الإيقاع الداخلي الذي يُبرزه التماثل والتوازي بين أجزاء المقطع الشعري، والتكرار، وتآلف الحروف وتجاورها، والجناس"<sup>(١٦)</sup>.

فهذه القصيدة من بحر الكامل ووزنه (متفاعلن) ست مرات، اتسم هذا البحر بإيقاع موسيقي واضحٍ خلاب، تجذ له جزالة وحسنٍ اطراد، وهو يتماشى مع حالة الشاعر النفسية ونبضات قلبه السريعة التي يمتلكها الفرح والسرور نتيجة ذلك النيل العظيم على جيوش أهل كِبِّ. ويلاحظ كون عروض القصيدة صحيحة وضربها مقطوع، وكون أكثر تفاعيلها - بما فيها الأعراب والأضرب - مضمرة، والإضمار: "هو تسكين الحرف الثاني المتحرك، مثال استحالة (متفاعلن) إلى (متفاعلن) = (مستفعلن)"<sup>(١٧)</sup>.

أما عن قافية القصيدة فقد جاءت مبنية على حرف الباء المتحرك بالكسر، ويلاحظ تغيير حركة الروي من الكسر إلى الضم في البيتين الثاني والسابع حيث جاءت كلمتا (كذابٌ) و (كلابٌ) مرفوعتين على الخبرية، كما يلاحظ تغيير حركته من الكسر إلى الفتح في البيت الثاني عشر حيث جاءت كلمة (الإرهاب)

منصوبة على المفعولية، فعلى هذا يكون في الأبيات الثلاثة ما يعرف بالإقواء، وهو عيب عند النقاد القدامى، وقع فيه كثير من النبغاء وعلى رأسهم الناقد الجاهلي المشهور النابغة الذبياني في قوله<sup>(١٨)</sup>:

أمن آل مية رائح أو معتد \* عجلان ذا زاد وغير مزود

زعم البوارح أن رحلتنا غدا \* وبذاك خبرنا الغداف الأسود

وفي البيت الحادي عشر ما يُعرف بالإيطاء، حيث أعاد الشاعر كتابة قافية البيت السابق (الضرب) بلفظها ومعناها، وهذا أيضا من عيوب القافية.

وإضافة إلى ما سبق، يلاحظ القارئ أو السامع لهذه القصيدة نوعاً من جرسٍ موسيقيٍ داخليٍّ خلّابٍ منبثقٍ من التصريع في المطلع بين قافيتي الصدر والعجز (الوَهَّاب والأبواب)، ومن تتابع اللام الساكنة وتكرارها في البيت الأول، وتكرار حرف الراء في صدر البيت السادس، ومن تكرار حرف الهاء في البيت الحادي والعشرين وفي الرابع والعشرين، وكذلك من وقع التجانس بين تضارب والضرب في البيت الحادي عشر وبين الردي والندی في عجز البيت الثالث والعشرين، وغير ذلك مما يدل دلالة على سعة قدرة الشاعر في أفانين الكلام.



## الخاتمة:

تناول البحث بالدراسة والتحليل الأدبي، قصيدة الوزير عبد القادر بن غدادُ البائية التي نظمها شكرًا لله تعالى عقب انتصار جيش الأمير عليّ على جيوش أهل كَبِّ المَجْمَعَة من البلاد الواقعة في أراضي جِرْمَ ومَمُورٍ وغيرها. واستطاع أن يكشف للقراء أهمية القصيدة من الناحية التاريخية من حيث احتوائها على أحداث تاريخية ترجع إلى القرن التاسع عشر الميلادي، ومن الناحية الأدبية حيث أثبتت مقدرة الشاعر في التعبير عن شعوره وإحساسه شعرًا، مستوظفًا أساليب جمالية مختلفة. كما سهل للقارئ - عن طريق تحليل نص القصيدة - فهم مضامين القصيدة وتذوق جمال أساليبها.

## الهوامش والمراجع:

- (١) ينتهي نسبه إلى الرجل التاريخي موسى جَكُّلُو Musa Jakollo الذي تفرع من فُوتَا نُورُو، واستقر في (بِرْنِنْ فُنْ) في منتصف القرن الخامس عشر الميلادي، وإليه ينتسب الشيخ عثمان بن فودي أيضًا. راجع: عبد الله بن فودي، تزيين الورقات تحقيق هِسْكَتْ، لندن ١٩٦٣م، ص ٥.
- (٢) راجع: يحيى محمد الأمين، وزراء سَكُّتُو ومساهماتهم في اللغة العربية، رسالة الماجستير بقسم اللغة العربية جامعة بايروكنو ص ١٣، و Murry Last, The Sokoto Caliphate, Britain 1967 P.P. 139, 140
- (٣) انظر ترجمتها في: جنيد (الوزير)، عرف الريحان، مطبعة عَسْكَيَا كُوفْرِيشِنْ، زاريا، ص ٥٤-٦٠

- (٤) كانت العادة في سَكُتُو إبان الجهاد، أن يأخذ الأطفال مبادئ القراءة والكتابة والدين الإسلامي عن أمهاتهم أو أقاربهم أو الكتاتيب التي يقوم غالبا بإدارتها عالم من علماء الحي. الشيخ عثمان نَلِيمَن (وهو ثقة) في مقابلة أجريتها معه في بيته بتاريخ ١٦/١١/١٩٩٨م.
- (٥) راجع: عبد القادر بن غِدَادُ، الأنيس المفيد في التعلق بمشايخنا القواد، نسخة مخطوطة موجودة بقسم المخطوطات، جامعة بايرو كنو، في ملف (غِطَاطُ) تحت رقم ٠١٩، ص ٢٦-٣٠.
- (٦) راجع: يحيى محمد الأمين، وزراء سَكُتُو ومساهماتهم في اللغة العربية ص ١٧.
- (٧) انظر: Murry Last, The Sokoto Caliphate, Printed in Britain 1967, P155, 157.
- (٨) انظر ترجمته في: مجموع الوزير في ذكر مناقب الأمير تأليف عبد القادر بن غداد، دراسة وتحقيق: الدكتور يحيى إمام سليمان، الخیر للطباعة جمهورية مصر العربية ٢٠١٤م، ص ٨-١٦.
- (٩) انظر: عبد القادر بن غِدَادُ، مجموع الوزير في ذكر مناقب الأمير، تحقيق الدكتور يحيى إمام سليمان، ص ٦٥-٧١.
- (١٠) انظر الخريطة المواجهة للصفحة رقم ١٤٤ في تزيين الورقات، تحقيق هِسْكَتْ.
- (١١) انظر تفاصيل ذلك في: عبد القادر بن غِدَادُ، مجموع الوزير...، ص ٦٩.
- (١٢) راجع: عبد الله بن فودي، تزيين الورقات ص ٦٣، ومحمد بل، إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، تحقيق وتنعغ، لندن (د.ت)، ص ٩٢.
- (١٣) ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير والآخرين، دار المعارف، القاهرة، مادة (عبد).

- (١٤) ابن عاشور التونسي، التحرير والتنوير، مؤسسة التاريخ العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م، ج١، ص ١٧٧
- (١٥) محمد أبو المجد علي (الدكتور)، شعر الرثاء والصراع السياسي والمذهبي في العصر الأموي، دار المروة ٢٠٠٤م، ص ٩٧.
- (١٦) فوزي خضر (الدكتور)، عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، مؤسسة البابطين، الكويت ٢٠٠٤م، ص ٢١٢.
- (١٧) راجع: كمال خيرى بك (الدكتور)، حركية الحداثة في الشعر العربي المعاصر، ط٢، بيروت ١٩٨٦م، ص ٢٢٤، ٢١٩.
- (١٨) راجع: محمد أمين النواوي وغيره، مختار الشعر الجاهلي، مطبعة المشهد الحسيني بالقاهرة، ج١ ص ١٩٩. وشوقي ضيف (الدكتور): النقد، الطبعة الخامسة، دار المعارف القاهرة ١٩٨٤م، ص ٢٤.